أثر السياق اللغوي في أبنية تراكيب أواخر آي سورة البقرة

✍ كتبه

منى بنت إبراهيم بن عبد العزيز العجلان

الرياض ـ كلية الآداب

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

أثر السياق اللغوي في أبنية تراكيب أواخر آي سورة البقرة

ترتبط الأساليب القرآنية بالمعنى ارتباطا رئيسيا، ومن المعلوم أنّ صياغة العبارة بالمحافظة على الترتيب الأصلي لعناصرها إنَّما يكون لمجرد الإخبار وهو التعبير الطبيعي الذي لا يحتاج فيه المتكلِّم إلى غرض تعبيري خاص، بخلاف التقديم والتأخير فهو نوع من التصرُّف في التركيب والعدول عن أصل ترتيب عناصره لغاية دلالية، ولهذا نرى النحاة كثيرا ما يقولون: "والأصل كذا أو كذا" فالرتبة مبدأ نحوي لولاه لم يكن ثَمَّ تقديم ولا تأخير. وكذلك يأتي القرآن الكريم مظهرا للأسماء في مواضع الأصل فيها الإضمار لغاية دلالية، بالإضافة إلى أنّ الاسم الظاهر له تأثير أقوى في النفس من الاسم المضمر.

وقد رصد المفسرون عددا من الظواهر التركيبية في النص القرآني، وحاولوا أن يفسروا أسباب العدول عن الأصل في النص القرآني، وقد تبين أنّ من أبرز أسباب العدول عن الأصل من تقديم وإظهار في موضع إضمار هي الغايات الدلالية المتعددة، خاصة في أواخر الآيات القرآنية والتي دائما ما تكون مستقلة الدلالة بنفسها.

ABSTRACT

The effect of the linguistic context in the structures of the late structures of Al – Baqarah

The meaning of the Qur'an is that it is a natural expression in which the speaker does not need a particular expressive purpose. Unlike submission and delay, it is a form of behavior in the composition and departure of the original order of its elements , And therefore we see the grammarians often say: "The original as such or such" rank is the principle of grammar, but it was not and then provide no delay. Also, the Holy Quran shows the names in the places of origin in which the pronoun is up to the rooster, in addition to the apparent name has a stronger influence in the soul than the name of the hidden.

The interpreters have identified a number of structural phenomena in the Qur'anic text, and tried to explain the reasons for the abrogation of the original in the Qur'anic text. It has been shown that one of the most prominent reasons for abandoning the origin of the presentation and manifestation in the place of intimacy is the multiple semantic goals, especially in the late Qur'anic verses Independent of significance itself.

أولا : الرتبة

صياغة العبارة بالمحافظة على الترتيب الأصلي لعناصرها إنَّما يكون لمجرد الإخبار، وهو التعبير الطبيعي الذي لا يحتاج فيه المتكلِّم إلى غرض تعبيري خاص، بخلاف التقديم والتأخير فهو نوع من التصرُّف في التركيب والعدول عن أصل ترتيب عناصره لغاية معنوية، ولهذا نرى النحاة كثيرا ما يقولون: والأصل كذا أو كذا.

فالرتبة مبدأ نحوي لولاه لم يكن ثَمَّ تقديم ولا تأخير، ولهذا جعل النحاة لمواقع الكلام رتبا بعضها أسبق من بعض؛ يقول الزركشي: "على النحوي بيان مراتب الكلام فإنّ مرتبة العمدة قبل مرتبة الفضلة، ومرتبة المبتدأ قبل مرتبة الخبر، ومرتبة ما يصل إليه بنفسه قبل مرتبة ما يصل إليه بحرف الجر وإن كانا فضلتين، ومرتبة المفعول الأول قبل مرتبة المفعول الثاني، وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التأخير وهو يعود على ما مرتبته التقديم فلا يجوز أن يتقدم لأنَّه يكون متقدِّما لفظًا ومرتبة، وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التأخير وهو يعود على ما مرتبته التقديم فلا يجوز أن يتقدم لأنّه يكون مقدّما لفظا مؤخرا رتبة، فعلى هذا يجوز في داره زيد لاتصال الضمير بالخبر ومرتبته التأخير ولا يجوز صاحبها في الدار لاتصال الضمير بالمبتدأ ومرتبته التقديم" [(١)] . ويقول ابن يعيش: "رتبة الفعل يجب أن يكون أولا، ورتبة الفاعل أن يكون بعده ورتبة المفعول أن يكون آخرًا، وقد تقدَّم المفعول لضرب من التوسع والاهتمام به والنية به التأخير ولذلك جاز أن

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١: ٣١٠

يقال (ضرب غلامه زيد)[١] "، ويقول في موضع آخر: "وإذا ثبت ما ذكرناه جاز تقديم خبر المبتدأ عليه وإن كان فيه ضمير لأنّ النية فيه التأخير من قبل أنّ مرتبة المبتدأ قبل الخبر فاعرفه" [٢] .

وقد تحدث سيبويه في كتابه عن التقديم والتأخير، وهو أول من كشف سر هذا اللون البلاغي من العلماء فيما نعلم، يقول د. عبد القادر حسين: "فنحن نلحظ أنّ العلماء قبله كانوا يعرفون التقديم والتأخير، ولكنّهم لم يقفوا على أسراره البلاغية، فهذا يونس بن حبيب الذي روى عنه سيبويه كثيرًا من مسائل الكتاب يعرف التقديم ويذكره حين يعرض لجواب الشرط بعد الاستفهام فيقول: (إن تأتيني آتيك بالرفع، ويقول: هو في نية التقديم ويقدره أآتيك إن تأتني) ولا يزيد، أما سيبويه حين يعالج التقديم والتأخير في الكلام فإنّه يلفت النظر إلى سر بلاغي هام" [٣] .

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٧٦

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٩٣

(٣) د.عبد القادر جسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار قطري بن الفجاءة، قطر، ط٢، د.ت، ٨٩

أولا : التقديم والتأخير في الإسناد الخبري:

الأصل تقديم المبتدأ، وتأخير الخبر؛ لأنّ المبتدأ محكوم عليه فلا بدّ من تقديمه ليتحقّق، ويجوز تأخيره حيث لا مانع [١] ، يقول ابن مالك:

الأصل في الأخبار أن تؤخرا ∴ وجوزوا التقديم إذ لا ضررا

أ) تقديم الخبر على المبتدأ، وقد ورد من ذلك:

١ـ (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ فـ (سواء) خبر مقدّم، و(أأنذرتهم أم لم تنذرهم) في موضع رفع بالابتداء [٢] ، وتقديم

(١) السيوطي، همع الهوامع، ٢: ٣٢

(٢) اسم إنّ (الذين)، أمّا الخبر فقد اختلف النحاة في إعرابه محتملا أوجه عدّة: أولها: (سواء)، وما بعده مرتفع على الفاعلية. والثاني: جملة (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) على أنّ (سواء) خبر مقدّم، و(أأنذرتهم أم لم تنذرهم) في موضع رفع بالابتداء، أي: إنذارك وعدمه سواء عليهم (وهو رأي الجمهور)، أو العكس بجعل (سواء) مبتدأ، و(أأنذرتهم أم لم تنذرهم) في موضع خبر. والثالث: جملة (لا يؤمنون) واعتبار الجملة السابقة اعتراض، أو اعتبار (لا يؤمنون) خبر ثانٍ والجملة السابقة خبر أول. وفي حال اختيار الإعراب على الوجه الأول أو الثاني يجوز في إعراب جملة (لا يؤمنون) أوجه عدّة، إمّا خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هم)، أو عطف بيان، أو حال مؤكدة، أو بدل كل، أو اعتراض لغرض التأكيد، أو خبر ثانٍ -كما تقدم-.

ـ وقد اختلف النحويون في جواز تقديم الخبر (سواء) على المبتدأ (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) حال إعراب جملة (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) خبر اسم إنّ أو اعتراض؛ فقد منع الكوفيون تقديمه وأعربوه مبتدأً، في حين أجاز البصريون إعرابه خبرًا مقدّمًا. وقد اختارت الآية الواردة بوصفها شاهدًا على التقديم بناءً على رأي الجمهور من النحاة وبعض المفسرين؛ يقول ابن هشام: "فالجمهور على أن سواء خبر مقدم، والمصدر المتصيد من

الخبر جاء لأجل الاهتمام؛ يقول أبو السعود: "وسواء عليهم خبر قدِّم اعتناءً بشأنه" (١) .

٢_ (كذلك جزاء الكافرين) في قوله تعالى: (وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ

الفعل الذي يليه مبتدأ مؤخر، والمصدر المتصيد من الفعل التالي لأم معطوف على المصدر الأول، وتقدير الكلام على هذا إنذارك وعدم إنذارك سواء عليهم، ويقول الألوسي: "وهو المشهور على ألسنة الطلبة في مثله"، وكذلك ابن عاشور: "وتردد النحاة في إعرابه، وأظهره وأسلمه أنّ (سواء) خبر مقدَّم وأنّ الفعل الواقع بعده مقترنًا بالهمزة في تأويل مبتدأ لأنّه صار بمنزلة المصدر إذ تجرّد عن النسبة وعن الزمان، فالتقدير في الآية سواء عليهم إنذارك وعدمه"، وهو ما اقتصر عليه الزمخشري في الكشاف. والعلة في إعراب (سواء) خبر مقدَّم لا مبتدأ لكونه موضع الفائدة؛ يقول أبو السعود: "وقيل (سواء) مبتدأ وما بعده خبر وليس بذاك؛ لأنّ مقتضى المقام بيان كون الإنذار وعدمه سواء، لا بيان كون المستوي الإنذار وعدمه". وكذلك ابن يعيش: "ألا ترى أنّ موضع الفائدة الخبر، والشك إنما وقع في استواء الإنذار وعدمه لا في نفس الإنذار". وقريب من ذلك علّل الهمذاني حيث إنّ (سواء) نكرة، والخبر يجب أن يكون مجهولا؛ يقول: "وقد تقرر أنه إذا اجتمع المعرفة والنكرة لم يكن الخبر إلا النكرة، لأن الخبر يجب أن يكون مجهولا، وما يخبر عنه معروفا، ولو عكست لم يجز، لأن الإخبار بما يعرف عما لا يعرف عكس العادة، لعدم الفائدة".

انظر: النحاس، إعراب القرآن، ١٠١. الزمخشري، الكشاف، ٢٧. الرازي، مفاتيح الغيب، ١: ٣٨. العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ٢١. أبو حيان، البحر المحيط، ١: ١٧٣، ١٧٤. ابن هشام، مغني اللبيب، ٢: ٤٩١. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ١: ١٦٧ . السيوطي، همع الهوامع، ٢: ٣٥، ٣٦. تفسير أبي السعود، ١: ٣٦. الألوسي، روح المعاني، ١: ١٧٣_١٧٥. ابن يعيش، شرح المفصل، ١: ٩٣. المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق محمد نظام الدين الفتيّح، دار الزمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١٣٧. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١: ٢٥٠

(١) تفسير أبي السعود، ١: ٣٦

وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾) فـ (جزاء الكافرين) مبتدأ مؤخر، والجار والمجرور(كذلك) متعلِّق بمحذوف خبر مقدّم، والتقديم هنا جائز، وهو لغرض الاهتمام ببيان المماثلة [١] . وقد أدّى التقديم والتأخير دورًا في الربط مثل حرف العطف الواو؛ يذكر ابن عاشور: "وتقديم الجار والمجرور على متعلقه وهو (قال) إمّا لمجرد الاهتمام ببيان المماثلة، وإمّا ليغني عن حرف العطف في الانتقال من كلام إلى كلام إيجازًا بديعا؛ لأنّ مفاد حرف العطف التشريك، ومفاد كاف التشبيه التشريك إذ التشبيه تشريك في الصفة" [٢] . والقصد من ذلك الزراية بتلك الفئة، فأي وقع على النفس أشد من قول: القتل جزاؤك!

ب) تقديم خبر (كان) على اسمها:

يقول ابن مالك: "وتوسيط أخبارها كلها جائز، ما لم يمنع مانع أو موجب" [٣] .

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٢: ٢٠٦. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، ١: ٢٥١

ـ وقد أعرب المنتجب الهمذاني (كذلك) في موضع رفع بالابتداء، والخبر (جزاء الكافرين). المنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، ١: ٤٦٣

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١: ٦٧٨

ـ أورد ذلك أثناء حديثه عن آية ١١٣ (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلوون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم...)

(٣) ابن مالك، التسهيل، ١: ٣٤٨

وقد ورد من ذلك حالة واحدة وهي حالة الجواز، ففي جملة: (كانت لكم الدار الآخرة) في قوله تعالى: (قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾) فـ (الدار) اسم كان مؤخر، والجار والمجرور(لكم) متعلِّق بمحذوف خبر كان مقدّم. وتقديم خبر (كان) هنا على اسمها جائز؛ إذ لم يكن هناك ضمير يستوجب تقديم الخبر، وليس هناك لبس كي يمتنع [١] . وقد جاء التقديم مؤديا دلالة الحصر بناء على اعتقادهم (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) [٢] .

ج) تقديم خبر (إنّ) على اسمها:

يقول ابن عصفور: "ولا يجوز تقديم شيء من معمولات هذه الحروف عليها، ولا تقديم أخبارها على أسمائها؛ لضعفها في العمل إلا أن يكون الخبر ظرفًا أو مجرورًا فإنّ العرب اتسعت فيهما" [٣] . ومما ورد في موضوع الجار والمجرور المتقدِّم جملة: (إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) في قوله

---

(١) انظر: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ١: ٢٧٢، ٢٧٣

(٢) انظر: الألوسي، روح المعاني، ١: ٤٤٤. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١: ٦١٤

ـ وقد اختلف في إعراب (خالصة)؛ فقيل: نصب على الحال ويكون (لكم) إذ ذاك خبر كانت، وهو الظاهر لدي إذ به تمام تحدي الله للفئة المخاطبة، ويؤيد ذلك أنّ الزمخشري لم يحك غيره، وقيل انتصاب (خالصة) على أنّه خبر كان.

ـ انظر: النحاس، إعراب القرآن، ١٣٣. الزمخشري، الكشاف، ص٨٥،. العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ٧٧ . أبو حيان، البحر المحيط، ١: ٤٧٨

(٣) ابن عصفور، علي بن مؤمن، المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري و عبد الله الجبوري، ط١، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م، ١: ١٠٧

تعالى: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾) فـ (آية) اسم إنّ، و(في ذلك) متعلق بخبر إنّ المحذوف، والتقديم هنا جائز، والظاهر أنّه لغرض الاهتمام.

ثانيا : التقديم والتأخير في الإسناد الفعلي:

أ) تقديم المفعول به على الفعل:

الأصل في الجمل التي تحتوي مفعولا به أن يؤتى بالفعل فالفاعل فالمفعول به، يقول ابن مالك [١] :

والأصل في الفاعلِ أن يتَّصلا ∴ والأصل في المفعول أن ينفصلا

وقد يُجاء بخلافِ الأصلِ ∴ وقد يجي المفعولُ قبل الفعلِ

فإذا ما قدِّم المفعول به على الفعل فلا شكّ أنّ في ذلك عدول من التعبير الذي هو الأصل يصحبه عدول من معنى إلى معنى؛ يقول السامرائي: "ولا شك أنّ كل عدول من التعبير الطبيعي الذي هو الأول يصحبه عدول من معنى إلى معنى"، وفي موضع آخر يقول: "ولا يعدل عن مثل هذا التعبير إلا لسبب، فيقدم المفعول به على الفاعل نحو (ينصر المجاهدين الله) أو يقدم المفعول به على الفعل نحو (المجاهدين ينصر الله)" [٢]، وقد ورد من ذلك:

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل، ٢: ٩٦

(٢) د. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، د.ط، د.ت، ٢: ٧٤، ٧٦

ـ وقد ذكر عن الاختصاص بقوله: "وهو أبرز غرض في تقديم المفعول بل في عموم مسائل التقديم". (٢: ٧٦)

١_ جملة (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) في قوله تعالى: (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾) حيث قدِّم المفعول (أنفسهم) على الفعل (يظلمون) للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق [١] ، يقول ابن عاشور: "وقد حصل القصر أولا بمجرد الجمع بين النفي والإثبات، ثم أكد بالتقديم" [٢] .

٢_ جملة (إياه تعبدون) في قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾) حيث قدِّم المفعول (إياه) على الفعل (تعبدون) للاختصاص [٣] ، أي: إن كنتم تخصونه بالعبادة، وذلك لأنّ العبادة مختصة بالله تعالى فلا يعبد أحد غيره، فلو تأخر الضمير (إياه) الواقع مفعولا لصار ضميرا متصلا "تعبدونه" فلما جعله منفصلا قدَّمه لمزيد الاختصاص.

٣_ جملة (ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) في قوله تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾) حيث قدِّم المفعول (فريقا) على الفعلين

(١) انظر: تفسير أبي السعود، ١: ١٠٤. روح المعاني، ١: ٣٥٩
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١: ٥١٢
(٣) انظر: الكشاف، ١١١. الألوسي، روح المعاني، ١: ٦٠٠

(كذبتم/ تقتلون)، يقول أبو السعود: "وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع إلى ما فعلوا بهم" (١) .

ب) تقديم المفعول به على الفاعل:

الأصل في الجمل التي تحتوي مفعولا به _كما تقدّم_ أن يؤتى بالفعل فالفاعل فالمفعول به. وينقسم الفاعل بالنظر إلى تقديم المفعول عليه إلى ثلاثة أقسام، قسم يمنع فيه تقديم المفعول، وقسم يلزم فيه التقديم، وقسم يجوز فيه التقديم والتأخير (٢) .

وقد تبيّن من تلك الحالات ثلاثة شواهد، وفيها يلزم تقديم المفعول على فاعله، وهي: جملة (فأخذتكم الصاعقة) في قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ، وجملة (قل بئسما يأمركم به إيمانكم) في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾) ، وجملة (يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) في قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾) والعلة في ذلك هو اتصال الفعل بضمير المفعول به؛ يقول السيوطي: "ويجب الخروج عن الأصل إذا كان المفعول ضميرًا والفاعل

---

(١) تفسير أبي السعود، ١: ١٢٧

(٢) انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ١: ٩٦_ ١١٠. السيوطي، همع الهوامع،٢: ٢٥٩، ٢٦٠.

ظاهرًا لما ذكر نحو: ضربني زيد". وعلّل ذلك بقوله: "لأنّ الفصل يؤدي إلى انفصال الضمير مع إمكان اتصاله" (١) .

ثالثًا : التقديم والتأخير في تركيب شبه الجملة (الجار والمجرور):

عامل النحاة الجار والمجرور معاملة الظرف، وأجروه مجراه في حرية دخوله وسط التراكيب وموقعه فيها؛ يقول الرضي: "وإنّما جاز تقديم الخبر ظرفًا لتوسعهم في الظروف ما لا يتوسع في غيرها، لأنّ كل شيء من المحدثات فلا بد أن يكون في زمان أو مكان فصارت مع كل شيء كقريبة، ولم تكن أجنبية منه، فدخلت حيث لا يدخل غيرها كالمحارم يدخلون حيث لا يدخل الأجنبي، وأجرى الجار مجراه لمناسبة بينهما إذ كل ظرف في التقدير جار ومجرور، والجار محتاج إلى الفعل أو معناه كاحتياج الظرف" (٢) .

إنّ ظاهرة تقديم الجار والمجرور ظاهرة الشيوع، فهي _على حد قول الرضي_ محرم لكل تركيب لا يُحظر عليها دخولًا، فنجدها تارة متقدمة وأخرى متأخرة. ولبلاغة السياق أثر في التقديم والتأخير، وظاهرة تقدمه في القرآن حقيقة بالتأمل والدراسة، وقد وقفت الباحثة مستقرئة لصور تقدم الجار والمجرور في أواخر آي السورة المختارة على النحو التالي:

أ) تقديم الجار والمجرور على المبتدأ:

ورد في جملة (وبالآخرة هم يوقنون) في قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤) ، ففي هذه الجملة

(١) السيوطي، همع الهوامع، ٢: ٢٦٠
(٢) الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ١: ٢٨٩

تقديم للجار والمجرور (بالآخرة) الذي هو معمول (يوقنون) على الخبر (هم)، والتقديم هنا لإفادة القصر؛ يقول الألوسي: "وتقديم المجرور للإشارة إلى أنّ إيقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداها إلى خلاف حقيقتها مما يزعمه اليهود مثلا حين قالوا (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى)"[(١)] . في حين ذكر ابن عاشور أنّ التقديم لمجرد الاهتمام ورعاية الفاصلة؛ يقول "وهو تقديم لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة، وأرى أنّ في هذا التقديم ثناء على هؤلاء بأنّهم أيقنوا بأهم ما يوقن به المؤمن فليس التقديم بمفيد حصرا ... وقد تكلّف صاحب الكشاف وشارحوه لإفادة الحصر ويخرج الحصر عن تعلقه بذات المحصور فيه إلى تعلقه بأحواله وهذا غير معهود في الحصر" [(٢)] .

ب) تقديم الجار والمجرور على الخبر:

١ـ (هم فيها خالدون) في قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾) حيث قدِّم الجار والمجرور (فيها) على الخبر (خالدون)، والتقديم هنا ربما لإفادة القصر، أي قصر خلود أصحاب النار فيها.

٢ـ (إنّ الله على كل شيء قدير) في قوله تعالى: (يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

(١) الألوسي، روح المعاني، ١: ١٦٦. انظر: بديع الزمان النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان الصالحي، بغداد، ١: ٦٥

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١: ٢٤٠

لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾) حيث قدِّم الجار والمجرور (على كل شيء) على الخبر (قدير)؛ ربّما لأنّ سياق الآية في إثبات قدرة الله، وهو إذهابه لسمع المنافقين وأبصارهم، فناسب تقديم الجار والمجرور لمزيد تأكيد قدرة الله على كل شيء.

٣_ (إنّ الله بما تعملون بصير) في قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾) حيث قدِّم الجار والمجرور (بما تعملون) على الخبر (بصير)؛ ربّما لأنّ سياق الآية حديث عن أعمال العباد، فقدّمها من باب الوعد للمؤمنين، وإلا فإنّ خبرته _تعالى_ لا تختص بعملنا، بل هي مطلقة لا يحدّها شيء، ومما يؤيد ذلك قول أبي السعود: "(إنّ الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين" (١) .

٤_ (كانوا فيه يختلفون) في قوله تعالى: (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾) حيث قدِّم الجار والمجرور (فيه) على خبر كان (يختلفون)، وفي هذا الموضع يقول د. ساهر القرالة: "وقد يكون مرد التقديم هنا للأهمية، فبما أنّ الشيء المختلف فيه بين هاتين الطائفتين (اليهود والنصارى) أمر ديني، لذلك تقدم، ولو كان الأمر المختلف فيه أمرًا عاديا كبقية الأمور الدنيوية الأخرى لما

(١) تفسير أبي السعود، ١: ١٤٦

وجب تقدمه بهذه الصورة" [١] ، ولا شك أنّ في ذلك بث للطمأنينة في قلوب المؤمنين وإزالة الشك منها في أنّ الله لن ينصرهم.

٥- (ونحن له مسلمون) في قوله تعالى: (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾) ، وجملة (ونحن له عابدون) في قوله تعالى: (صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾) ، وجملة (ونحن له مخلصون) في قوله تعالى: (قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾) حيث أفاد تقديم الجار والمجرور (له) على عامله لإفادة الاختصاص؛ يقول الألوسي: "وتقديم الجار لإفادة اختصاص العبادة له تعالى، وتقديم المسند إليه لإفادة قصر ذلك الاختصاص عليهم، وعدم تجاوزه إلى أهل الكتاب فيكون تعريضا لهم بالشرك أو عدم الانقياد له تعالى باتباع ملة إبراهيم" [٢] ، وقد يكون التقديم للاهتمام ورعاية الفواصل؛ يقول أبو السعود: "وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل" [٣] .

---

(١) د.ساهر حمد القرالة، صور الفصل بين المتلازمات النحوية بالتقديم والتأخير(المسند والمسند إليه وما أصلهما كذلك أنموذجا)، جامعة الزرقاء، الأردن، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، ٢٠١٣، ص٢٣١

(٢) الألوسي، روح المعاني، ١: ٥٤١

(٣) تفسير أبي السعود، ١: ١٦٨

٦ـ (إنّ الله بالناس لرؤوف رحيم) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾) حيث قدِّم الجار والمجرور (بالنّاس) على الخبر المتعدِّد (رؤوف رحيم)؛ ربّما للاهتمام وتأكيد رأفة الله ورحمته بالنّاس.

٧ـ (إنّه لكم عدو مبين) في قوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَـٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَـٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾) حيث قدِّم الجار والمجرور (لكم) على خبر إنّ (عدوّ) ربّما للتحذير من عداوة الشيطان.

٨ـ (والله بما تعملون خبير) في قوله تعالى: (إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾) حيث قدِّم الجار والمجرور (بما تعملون) على الخبر (خبير)؛ ربّما لأنّ السياق سياق عمل (إبداء وإخفاء الصدقة) فيكون التقديم من باب الترغيب في الصدقة، وممّا يعضد ذلك قول الألوسي: "ففي الجملة ترغيب في الإعلان والإسرار وإن اختلفا في الأفضلية" (١) .

٩ـ (والله بكل شيء عليم) في قوله تعالى: (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾) حيث قدِّم الجار والمجرور (بكل شيء) على الخبر (عليم)؛ ربّما لأنّ سياق الآية (وهي المسمَّاة بآية الدَّين) قد عرضت للدّين وتوثيقه من نواح عدّة، فذكرت كتابة الدَّين، وعدالة الكاتب، وعدالة

(١) الألوسي، روح المعاني، ٣: ٦١

المملي، وذكرت الاستشهاد على الدَّين، وعدالة الشهود، وما يتصل بذلك من الاستشهاد على البيع، فناسب تقديم الجار والمجرور (بكلِّ شيء) على الخبر لمزيد تأكيد إحاطة علم الله بكل شيء.

ج) تقديم الجار والمجرور على الفعل:

١ـ (ومما رزقناهم ينفقون) في قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣) حيث قدِّم الجار والمجرور (مما رزقناهم) على عامله (ينفقون)، وهذا دلالة على أهمية المقدَّم، فيكون في التقديم إيذان بأنّهم ينفقون مع ما للرزق من المعزة على النفس؛ يقول الألوسي: "وإنّما قدَّم سبحانه وتعالى المعمول اعتناء بما خوّل الله تعالى العبد أو لأنَّه مقدَّم على الإنفاق في الخارج، ولتناسب الفواصل" (١) .

٢ـ (إليه ترجعون) في قوله تعالى: (كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٨) حيث قدِّم الجار والمجرور (إليه) على عامله (ترجعون) للدلالة على القصر؛ إذ المعنى إليه تعالى، لا إلى أحد غيره سبحانه؛ يقول ابن عاشور: "وتقديم المتعلق على عامله مفيد للقصر" (٢) .

---

(١) الألوسي، روح المعاني، ١: ١٦٠. انظر: تفسير أبي السعود، ١: ٣٢

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١: ٣٧٧. انظر: بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان صالح الصالحي، شركة سوزلر، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م، ١: ٢٢٩

د) تقديم الجار والمجرور على الفاعل:

كجملة (قل بئسما يأمركم به إيمانكم) في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وجملة (وما يكفر بها إلا الفاسقون) في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾) ، وجملة (وتقطعت بهم الأسباب) في قوله تعالى: (إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ حيث قدّم الجار والمجرور (به، بها، بهم) على الفاعل (إيمان، الفاسقون، الأسباب) ربّما للاهتمام وتأكيد الذم السابق.

هـ) تقديم الجار والمجرور على المفعول به:

١ـ (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) في قوله تعالى: (فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾) حيث قدّم الجار والمجرور (على الذين ظلموا) على المفعول به (رجزًا)؛ وفي ذلك دلالة على القصر؛ أي قصر العقاب على الظالمين فلا يتعداه لغيرهم.

٢ـ (ربنا أفرغ علينا صبرا) في قوله تعالى: (وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾) حيث قدّم

الجار والمجرور (علينا) على المفعول به (صبرا)؛ وفي ذلك دلالة على أهمية المقدَّم في حاجة المنادي للإمداد بالصبر.

و) تقديم الجار والمجرور على الحال:

كجملة (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) في قوله تعالى: (وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾) حيث قدِّم الجار والمجرور (في الأرض) على الحال (مفسدين)؛ ربّما للأهمية في تحديد الجهة وصرف الذهن عن غيرها.

ثانيا: الإضمار والإظهار

يقول الزركشي: "الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدث عنه كذلك، والأصل أنّه إذا ذكر ثانيا أن يذكر مضمرا للاستغناء عنه بالظاهر السابق" (١) . ثم يعدِّد الأسباب للخروج على خلاف الأصل ويذكر منها: التعظيم والتحقير والتقدير وإزالة اللبس وتقوية داعية المأمور، والإشارة إلى عدم دخول حكم في آخر... وغيرها (٢) .

ويأتي القرآن الكريم مظهرا للأسماء في مواضع الأصل فيها الإضمار؛ لأنّ الاسم الظاهر له تأثير أقوى في النفس من الاسم المضمر، هذا من جهة، ومن جهة ثانية لأنّ جمل أواخر الآي كثيرًا ما تكون مستقلة الدلالة بنفسها، فهي تشبه الأمثال في كونها كلاما جامعًا لمعانٍ كثيرة، ولذلك نجد الإظهار يكثر في الجمل المختومة بأسماء الله وصفاته، ويقل فيما دون ذلك.

وقد تنوعت الأسماء المظهرة، وتعددت الأغراض على النحو الآتي:

أولا - المبتدأ :

تبيّن بعد استقراء لأواخر آي سورة البقرة كثرة إظهار المبتدأ لفظ الجلالة (الله)، وذلك لغرض التعظيم والمهابة، أو تقوية الحكم، أو تقوية

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢: ٤٨٤
(٢) المرجع السابق، ص ٤٨٥ وما بعدها.

استقلال الجملة، أو لتعليم المخاطبين بعض صفات الكمال الثابتة لله سبحانه وتعالى [١] . وقد ورد إظهار المبتدأ لفظ الجلالة (الله) في الجمل الآتية:

١- (إنّ الله على كل شيء قدير) في قوله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾)

٢- (إنّ الله بما تعملون بصير) في قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾)

٣- (إنّ الله واسع عليم) في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾)

٤- (إنّ الله بالناس لرؤوف رحيم) في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾)

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود، ١: ٥٥٩، الألوسي، روح المعاني، ٥: ٩٧. عبد الرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ١: ٣٩٩

٥- (واعلموا أنّ الله مع المتقين) في قوله تعالى: (ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾)

٦- (واعلموا أنّ الله شديد العقاب) في قوله تعالى: (وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾)

٧- (إنّ الله غفور رحيم) في قوله تعالى: (ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾)

٨- (ومن يبدّل نعمة الله من بعد ما جاءته فإنّ الله شديد العقاب) في قوله تعالى: (سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾)

٩- (والله غفور رحيم) في قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾)

١٠- (إنّ الله عزيز حكيم) في قوله تعالى: (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾)

١١- (إنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) في قوله تعالى: (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾)

١٢- (ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون) في قوله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾)

١٣- (واعلموا أنّ الله بكل شيء عليم) في قوله تعالى: (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾)

١٤- (والله واسع عليم) في قوله تعالى: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾)

١٥- (والله بكل شيء عليم) في قوله تعالى: (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾)

١٦- (والله على كل شيء قدير) في قوله تعالى: (لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾)

ثانيا- المفعول به، وقد ورد إظهاره لأغراض هي :

١- الوعد بالثواب، كجملة (وبشّر المؤمنين) في قوله تعالى: (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ

أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾) حيث يقول أبو حيّان [١] : "وفي أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتبشير تأنيس عظيم ووعد كريم بالثواب الجزيل، ولم يأت بضمير الغيبة، بل أتى بالظاهر الدال على الوصف، ولكونه مع ذلك فصل آية".

٢- تهويل الشيء وتعظيمه، كجملة (يتعدّ حدود الله) في قوله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾) حيث أعيد لفظ الحدود في مقام الإضمار للاهتمام بها، ولتهويل أمر المنهي عنه.

ثالثا - الاسم المجرور، وقد ورد إظهاره لأغراض هي:

١- التنبيه على علة الحكم، كجملة (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) في قوله تعالى: (فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾) حيث كُرِّر الظاهر السابق (الذين ظلموا) زيادة في تقبيح حالهم وإشعارا بعلية نزول الرجز؛ يقول أبو السعود: "وإنما وضع الموصول موضع الضمير العائد إلى الموصول الأول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بأنهم بما فعلوا قد ظلموا أنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى"[٢] .

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ٢: ١٨٣

(٢) تفسير أبي السعود، ١: ١٥٠. انظر: الزمخشري، الكشاف، ٧٣ . أبو حيان، البحر المحيط، ١: ٣٨٧

وكذلك جملة (فإنّ الله عدوٌّ للكافرين)، في قوله تعالى: (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾)، يذكر الزمخشري [١] : "أراد (عدو لهم) فجاء بالظاهر ليدل على أنّ الله إنّما عاداهم لكفرهم". وكذلك يذكر أبو حيّان [٢] : "أوقع الظاهر موقع الضمير؛ لتواخي أواخر الآي، ولينص على علة العداوة، وهي الكفر، إذ من عادى من تقدم ذكره، أو واحد منهم فهو كافر، ويراد بالكافرين العموم فيكون الرابط العموم".

٢- التقرير، كجملة (فله أجره عند ربه) في قوله تعالى: (بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾)، يقول أبو السعود: "ووضع اسم الرب مضافا إلى ضمير من أسلم موضع ضمير الجلالة لإظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة أي فله أجره عند مالكه ومدبر أموره ومبلغه إلى كماله" [٣] .

٣- التشريف والاختصاص، كجملة (والله رؤوف بالعباد) في قوله تعالى: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾) ، ففي قوله: (بالعباد) خروج من ضمير غائب مفرد إلى اسم ظاهر، يقول أبو حيّان [٤] : "وحسّن الالتفات هنا بهذا الاسم الظاهر شيئان، أحدهما: أنّ لفظ العباد له في استعمال القرآن تشريف واختصاص... والثاني: مجيء اللفظ فاصلة".

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ٨٧
(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ١: ٤٩١
(٣) تفسير أبي السعود، ١: ١٤٨
(٤) أبو حيان، البحر المحيط، ٢: ١٢٩

الخاتمة

تناول هذا البحث أثر السياق اللغوي في أبنية تراكيب أواخر آي سورة البقرة، فكانت النتائج الآتية:

١- أدّى التقديم والتأخير دورًا في الربط مثل حرف العطف الواو، وقد اتضح ذلك في جملة (كذلك جزاء الكافرين). وفي مثلها يقول ابن عاشور: "وتقديم الجار والمجرور على متعلقه وهو (قال) إمّا لمجرد الاهتمام ببيان المماثلة، وإمّا ليغني عن حرف العطف في الانتقال من كلام إلى كلام إيجازًا بديعا؛ لأنّ مفاد حرف العطف التشريك، ومفاد كاف التشبيه التشريك إذ التشبيه تشريك في الصفة" (١) .

٢- التقرير النحوي لأشباه الجمل أنها مما لا رتبة له، والعرب تتوسع فيها ما لا تتوسع في غيرها، وفي سياق البحث عن التقديم والتأخير وجدنا لأشباه الجمل دورا كبيرا ومؤثرا في توجيه تفصيلات "التقديم والتأخير" في أبنية تراكيب أواخر الآي، فقد أوردنا مواضع كان لأشباه الجمل دور في توجيه دلالات الفواصل القرآنية.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١: ٦٧٨

ـ أورد ذلك أثناء حديثه عن آية ١١٣ (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلوون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم...)

٣- تبيّن أنّ الأصل في الاسم أنّه إذا ذكر ثانيا أن يذكر مضمرا، وهو الأصل؛ للاستغناء عنه بالظاهر السابق، ولا أدلّ على ذلك من أنّ الزمخشري [١] وأبا حيّان [٢] قد أسمياه تكرارًا كما في جملة (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون) في قوله تعالى: (فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلاً غَيۡرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۝٥٩) ، ولكن إعادة الاسم الظاهر له وقع عظيم على النفس؛ لما فيه من إعطائه معنى دلاليًا آخر مما لا يوجد في الضمير، وكذلك إعطاء مزيد استقلال للجملة الثانية.

(١) الزمخشري، الكشاف، ٧٣
(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ١: ٣٨٧

المراجع

_ الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود شكري، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق محمد الأمد، عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د.ت.

_ حسين، عبد القادر، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار قطري بن الفجاءة، قطر، ط٢، د.ت.

- أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠١٠م.

- الدرويش، محيي الدين بن أحمد، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، ط٧، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

_ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

_ الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ

_ السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، د.ط، د.ت.

_ أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

- السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد السلام هارون، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

_ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، د.ط، ١٩٩٧م.

- ابن عصفور، علي بن مؤمن، المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري و عبد الله الجبوري، ط١، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م

_ ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

_ العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي البجاوي، عيسى البابي الحلب وشركاه، د. ط، د. ت.

_ القرالة، ساهر حمد، صور الفصل بين المتلازمات النحوية بالتقديم والتأخير(المسند والمسند إليه وما أصلهما كذلك أنموذجا)، جامعة الزرقاء، الأردن، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، ٢٠١٣.

_ ابن مالك، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، شرح التسهيل، تحقيق عبد الرحمن السيد، محمد المختون، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

_ الميداني، عبد الرحمن بن حسن بن حبنكة، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

_ النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن،، تحقيق زهير زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

_ النورسي، بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان صالح الصالحي، شركة سوزلر، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م.

_ ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف:

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.

ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

_ الهمذاني، المنتجب بن يعقوب، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق محمد نظام الدين الفتيّح، دار الزمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

_ابن يعيش، موفق الدين يعيش ابن علي، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، د. ط، د. ت.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
١	ملخص البحث	٤٠٥٣
٢	الرتبة	٤٠٥٥
٣	أولا : التقديم والتأخير في الإسناد الخبري:	٤٠٥٧
٤	أ) تقديم الخبر على المبتدأ، وقد ورد من ذلك:	٤٠٥٧
٥	ب) تقديم خبر (كان) على اسمها:	٤٠٥٩
٦	ج) تقديم خبر (إنّ) على اسمها:	٤٠٦٠
٧	ثانيا : التقديم والتأخير في الإسناد الفعلي:	٤٠٦١
٨	أ) تقديم المفعول به على الفعل:	٤٠٦١
٩	ب) تقديم المفعول به على الفاعل:	٤٠٦٣
١٠	ثالثاً : التقديم والتأخير في تركيب شبه الجملة (الجار والمجرور):	٤٠٦٤
١١	أ) تقديم الجار والمجرور على المبتدأ:	٤٠٦٤
١٢	ب) تقديم الجار والمجرور على الخبر:	٤٠٦٥
١٣	ج) تقديم الجار والمجرور على الفعل:	٤٠٦٩
١٤	د) تقديم الجار والمجرور على الفاعل:	٤٠٧٠
١٥	هـ) تقديم الجار والمجرور على المفعول به:	٤٠٧٠
١٦	و) تقديم الجار والمجرور على الحال:	٤٠٧١
١٧	ثانيا: الإضمار والإظهار	٤٠٧٢

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
١٨	**أولا - المبتدأ** :	٤٠٧٢
١٩	**ثانيا- المفعول به، وقد ورد إظهاره لأغراض هي** :	٤٠٧٥
٢٠	**ثالثا - الاسم المجرور، وقد ورد إظهاره لأغراض هي**:	٤٠٧٦
٢١	**الخاتمة**	٤٠٧٨
٢٢	**المراجع**	٤٠٨٠
٢٣	**فهرس الموضوعات**	٤٠٨٣